

# مَعْيَدُ الْحِلْفِ

فِي تَرْجُومَةِ الْحَقِّ الْقَوْلِ الْحَقِّ

لأبي المعالي عبد الملك الجويني

الشمير بامام الحرمين

---

الطبعة الأولى

١٣٥٢ هجرية — ١٩٣٤ ميلادية

المطبعة المصيرية

محمد محمد عبد اللطيف

كما لا سبيل إلى انتحال مذهب الصديق رضى الله عنه ، مع أنه قدوة العالمين وأسوة الخلق أجمعين قال النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر »

فإن قيل : فعلى هذا ينبغي أن يكون الشافعى دون أبى حنيفة فى الفضل ، وينبغى أن تسلبوا أنه كان تلميذاً له حيث نحل مذهبه

فالجواب قلنا : الآن نحن لا نتكلم فى دواعى التشيع والتشبيب ، فإن الشافعى كان عالماً فى الأصول والفروع واللغات وأنواع العلوم ، وأبو حنيفة لم يكن

له قدم مترسخة فى بعض هذه العلوم على ما لا يكاد

يخفى ، وكان أبو حنيفة ذا فن واحد ، ونظر الشافعى

فى كتبه ليعلم مقالته لا يدل على كونه تلميذاً له من

حيث انه نظر فى مذاهب كافة الأئمة حتى يعلم حقيقتها

ثم يتبعها بالنقض والرفض ، والابطال والاستئصال

مثلاً ، والسنة لا تكون خيراً من الكتاب ولا مثلاً له ، فلا جرم لا يجوز نسخ الكتاب بالسنة أصلاً ، إنما تلقى الشافعي هذا من هذا الأصل فهذا منه اذا لم يكن أصلاً مقطوعاً بطلانه ، وعلى أنه قد قيل ان الانصاف خير في كل شيء والانصاف أن يسلم وجه ضعف هذا الأصل ، ولكن نقول هذا أصل لا يبنى عليه شيء من الفروع ولا من التفاصيل فضعفه وفساده لا يوقع خلافاً في مذهبه ولا يمنع مقلديه من الاتباع وعلى أنه قد وقع لابي حنيفة أيضاً أصول باطلة مقطوع بها منها :

القول بالاستحسان : وذلك عمل بلا دليل ، فان حاصله يرجع الى أن الدليل معكم من الخبر والقياس ولكنني أستحسن مخالفته وهذا اثبات للشرع من تلقاء نفسه وقال الشافعي رضي الله عنه حين ناظر محمد بن الحسن في هذه المسألة : من استحسن فقد شرع ، ومن شرع فقد أشرك . هذا معناه

لا تستند إلا بالأصول ، والأصول على الكتاب  
والسنة والآثار والاجماع وما اليها ، والعلم بالرأى  
المستند إلى هذه الأصول . فمن كان أعلم بهذه الأصول  
الأربعة كانت أصوله أوفى بالوقائع ، وأتم وع  
لجميع المسائل

والأصول مواد ثلاثة : اللغة والكلام والفقه لأن  
الشريعة عربية والشافعي كان من صميم العرب ،  
بل ممن تفقأت بيضة مضر عنه ، ثم اشتهر بمعرفة  
الأخبار والآثار . وأنه كان من أعلم الناس  
بالاحاديث والأخبار . وقال إمام المسلمين أحمد بن  
حنبل رضى الله عنه لما لقي الشافعي رضى الله عنه  
« جاءنا صيرفي الحديث » وقال الشافعي رضى الله عنه

« من علم الحديث غزت حجته » وإن أبا حنيفة

رضى الله عنه كانت بضاعته من علم الحديث مزجاة ،

والذى يدل عليه أن أصحاب الحديث شددوا

النكير على أبي حنيفة رحمه الله فقالوا : إن أقواما

أعوزهم حفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فاستعملوا الرأي ، فضلوا وأضلوا ، والذي يقربه من  
أفهام العوام أن أصحاب الحديث تابعوا الشافعي ،  
وأخذوا بمذهبه ولازموه ، وبالغوا في تعظيمه ،  
وتفخيمه ، وجعلوه مقدماً على غيره وشدّدوا القول  
وأظهروا النكير على أبي حنيفة وحمه الله . ولم يكن  
ذلك لقوله بالقياس ، وإنما كان لتوسعه في القياس  
وخروجه عن الحد ، دون استقصاء معرفة المآخذ  
التي هي الأساس ، ومنها يتلقى القياس ، وهذا حسن

جداً في إبانة تقديم الشافعي في علم الحديث  
وانضم عليه أنه كان يتبين للعامي تقديم الشافعي  
في علم الأحاديث والرأي المقتبس منه ، وكذا  
يتبين للمسترشدين المستبصرين المستظرفين تقديمه أيضاً  
فيهما ، ومنهم من رزق بعض اليقظة ووفق بعض  
الانتباه ، وإن كان الكل مستدلاً منسلماً في سلك  
المقلدين ، ومتى أرينا لكل واحد من هذين الفريقين

تلائم الأصول والقواعد والاساس ، وتناسقها  
وتلائمها ولا تحيد عنها . ونظر أبي حنيفة وان دق  
الا أنه لا يوافق الأصول ويخالفها ويحيد عنها ،  
وأكثر نظره يخالف الكتاب والسنة والآثار  
 واجماع الأمة على ما أسلفنا شرحها ، وفي المعاني  
أيضاً كذلك على ما نبين شرحها بعد ان شاء الله  
تعالى وبه الثقة

والشافعي رحمة الله عليه قسم القواعد الى  
قسمين : الى ما يعلل ، وما لا يعلل . فقال الاتباع الى  
مالا يعلل ، ثم ترك جلي القياس الذي يعتلقه أوائل  
الافهام ، وتلقى من قواعد شرعية فان الاخلال بها  
من دواعي الخبط ، وغواشي الاضطراب .  
ويتقاصر أفهام العباد عنه ، كما امتنع عن القياس في  
ازالة النجاسة ، وقال أبو حنيفة المعقول قصد  
الازالة ، وكلما يحصل به الازالة فهو مزيل ، وقال  
الشافعي : هذا بما يعقل في الجملة ، الا أن الأمر ليس

والارض ! وقال ينعقد البيع بغير لفظه والنكاح بغير لفظه ، والتكبير بغير لفظه ، والقرآن بغير نظمه حتى لو قرأ فارسية القرآن في الصلاة تنعقد صلاته ، وهذا مزج فن بفن وخلط قبيل بقبيل ، وذهول عن الدقائق . فاذن الشافعي أتم نظرا في القياس وأعم تدقيقاً من أبي حنيفة ، فلهذا استنكف محمد بن الحسن وأبو يوسف عن متابعتة في ثلاثي مذهبه ووافقا الشافعي رحمهم الله في أكثر المسائل وذلك لأنه ذهب الى انتحال المذاهب ، وتقديم الأظهر فالأظهر وأقدم عليه بقريحة وقاده وفطنة منقادة ، وعقل ثابت ورأى صائب بعد الاستظهار بعلم الأصول والاستمداد من جملة أركان النظر في المعقول والمنقول فاستبان على القطع انه أبعد من الزلل والخطأ فان قيل : جل اعتمادكم على أن الشافعي كان متأخرا عن أبي حنيفة ونقل مذهبه ، وميز الصحيح من الفاسد يلزمكم من مساق هذه القاعدة أنه لو تبين بعده فاضل غير مجتهد ذو فنون وذو علوم ، بحيث يتصرف في

فان قيل : محمد بن الحسن وأبو يوسف كانا في زمانه  
وكانا مساويين له في منصب الاجتهاد ، ونحلا مذهب  
أبي حنيفة ، وعلمنا مذهب الشافعي فلماذا لم ينتحل  
مذهبهما

قلنا : ومن يقول بأنهما كانا مساويين له ؟ ! وهذه  
فرية عظيمة إذ هما كانا يتكلمان معه على وجه الاستفادة  
من عزيز أنفاسه والاحتساء من غزير كأسه ، ويحترمانه  
غاية الاحترام ونهاية الاحتشام ، ويجلسان بين يديه  
كأنما على رؤوسها الطير

وحكى عن الشافعي رضى الله عنه لما دخل بغداد  
حضر مجلس هارون الرشيد ، فأجلسه هارون في دسته  
على سريرته ، فامتلا محمد وأبو يوسف حسداً وكادا  
يتفطران غيظاً ويتلفيان غضباً لانهما بعد ما كانا جرباه  
ولم يقفا بعد على كمال فضله ، فأرادا أن يفضحاه فسألاه  
عن مسألة على أصل أبي حنيفة ، وقالا : ما تقول في رجل  
معه ماء لو توضأ به لم تجز الصلاة بذلك الوضوء ، ولو



لم يتوضأ بذلك الماء لا يباح له التيمم ؟ فحار فيها هارون  
والحاضرون وقالوا هذا أمر عجيب ماء يجب به الوضوء  
ولا يجوز أداء الصلاة به ونظروا الى الشافعى حتى يخبر  
عن جواب المسألة فقال الشافعى رضى الله عنه مستخفا  
بهما وبالحاضرين : أنا لا أبالى بيقين أبى حنيفة فكيف  
بمشكوكاته فلما سمعوا تحيرا وانقطعا فقال هارون يا ابن  
عم زدنى فى جواب هذه المسألة يانا

فقال : من فاسد مذهب صاحبهما أن الحمار سؤره  
مشكوك فى طهارته لا طاهر ييقين ولا نجس ييقين  
ولا يجوز أداء الصلاة بالوضوء به ولا يباح له التيمم لان  
الماء الطاهر ييقين غير معدوم فيجب التيمم والوضوء  
جميعاً وهذا مشكوك فيه عنده لأنه شك فى نجاسة  
الحمار فأنا لا أبالى بيقين أبى حنيفة فكيف بأبلى بمشكوكاته  
فارتضى هارون والحاضرون منه ذلك وعهد أبو يوسف  
ومحمد بعد ذلك أن لا يسألاه عن شيء لأنه  
يفضحهما ، فأنى يكونان مساويين له فى العلوم وعلى

وأن يراجع عقله وينصف وينفض شوائب الآلف  
والإقليد عن قلبه . وسيوفق الله تعالى في نظره ليستد  
نظره إذا عظم وقر الدين في صدره، وعرف مذاق الشرع  
في قلبه ، ولسنا نذكر هذا للتعصب بل هم الذين كانوا  
يبالغون في التعصب على الشافعي رضي الله عنه ، حتى  
أخبر الشافعي بأن محمد بن الحسن وأبا يوسف كانا  
يدعوان الله تعالى ويقولان « اللهم أمت الشافعي »

فأنشد وقال :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت  
فتلك سبيل لست فيها بأوحد  
فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى :  
تهياً لأخرى مثلاً فكأن قد

ويحكى عن عمارة بن زيد قال كنت صديقاً لمحمد  
ابن الحسن فدخلت معه يوماً على الرشيد فأسر محمد بن  
الحسن إليه وهو يقول : ان الشافعي يزعم بأنه للخلافة  
أهل ! فغضب الرشيد وقال : على به ، فأحضر بين يديه

فاطرق ساعة ، وقال أيها الشافعي ، فقال وما أيها يا امير المؤمنين أنت الداعي وأنا المدعو ، وأنت السائل وأنا المجيب ؟ قال بلغني أنك زعمت أنك أهل للخلافة ، قال حاش لله قد أفك المبلغ وفسق وأثم وظلم ، ولي يا امير المؤمنين حق القرابة وحق البيت وحق من أخذ بأدب الله ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذاب عن دينه المحامي على أمته ، فتهلل وجهه هارون ثم قال ليفرخ روعك فانا راعى حق قرابتك وعلمك ، وأدناه ثم قال : كيف علمك بكتاب الله تعالى ، قال جمعه الله في صدرى وجعل جنبيّ دفتيه ، وعن أى علم تسألنى يا امير المؤمنين ؟ عن علم تنزيله ، أو تأويله ، أو محكمه ، أو متشابهه ، أم ناسخه ، أم منسوخه ، أم أخباره ، أم أحكامه ، أم مكيه ، أم مدنيه ، أم ليليه ، أم نهاريه ، أم سفره ، أم حضره ، أم نظائره ، أم إعرابه ، أم وجوه قراءته ، أم حدوده ، أم عدائده وحروفه ؟ قال كيف علمك بالأحكام ؟ فقال : عبادات أم

منالكات، أم معاملات أم سير وآداب وتجارب ومحارم،  
 أم عفو، أم عقر، أم عقل وديات، أم الأطعمة، أم  
 الأشربة، وحلال ذلك أم حرامه. قال كيف علمك  
 بالنجوم؟ قال أعرف الفلك الدائر، والنجم السائر،  
 والقطب الثاقب، والمائي والناري، وما سمته العرب  
 الأنواء ومنازل النيرين الشمس والقمر، والاستقامة  
 والرجوع والنحوس، والسعود وهياتها، وما أفتدى  
 في برى أو بحرى، وأستدل به على أوقات صلاتى،  
 وأعرف بهامن كل ميز خصم فصيح. فقال كيف علمك  
 بالطب؟ قال أعرف ما قالت الروم مثل أرسطاطاليس  
 ومهراس وفرفور يوس وجالينوس وبقرات وشاهمرد  
 واهرمن وبزرجمهر قال كيف علمك بالشعر؟ قال: أعرف  
 الجاهلى ومعارضه وآدابه وبحوره وفنونه، وأروى  
 الشاهد والشاذ؟ وما تبديه المكارم، قال كيف علمك  
 بالانساب قال هذا علم لايسغنى جهله فى الجاهلية مع  
 تحمل الكفر، وتغمض الحق فأولته أوائلنا إغفاراً

وفضائل وقبائل، ورثته الأصاغر عن الأكبر، وعهده  
الخلف اقتداء بالسلف. وإنى لأعرف جماهير الأقسام،  
ونسب الكرام، وماثر الأيام، وفيها نسب أمير  
المؤمنين ونسبي، وماثر آبائه وآبائي

فاستوى هارون وقال: يا ابن ادريس لقد ملأت  
صدرى، وعظمت في عيني فعظني موعظة أعرف بها  
مقدار علمك. قال بشرط طرح الحشمة ودفع الهبة  
وإلقاء رداء الكبر عن منكبيك، وقبول النصيحة،  
واعظام حق الموعظة، والاصغاء لها، وجنى الشافعي  
على ركبتيه ومد يديه غير مكترث فقال: يا ذا الرجل إن  
من أطال عنان الأمل في العزة، وطوى عذار الحذر  
في المهلة، ولم يعول على طريق النجاة، كان بمنزلة قلة  
الاكتراث من الله سقيما وصار في أمده المحدود مثل  
نسج العنكبوت لا يأمن عليها نفسه، ولا يضيء له  
ما أظلم عليه من لبسه، أما والله لو اعترفت بما أسلفت  
ونظرت ليومك، وقدمت لغدك، وقصرت أملك،

وصورت الندامة ، لتستدرك الخيرات غداً في يوم  
القيامة ؛ ولكن ضرب الهوى عليك رواق الحيرة ،  
ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، فعلا شهيقي  
هارون بالبكاء ، فقالت الخاصة : يكفيك يا شافعي ،  
فزجرهم وقال : يا عبيد النجعة ، وأعوان الظلمة ، والذين  
باعوا أنفسهم بمحجوب الدنيا واشتروا عذاب الآخرة ،  
أما رأيتم من كان قبلكم كيف استدرجوا بالامهال ، ثم  
أخذوا أخذ عزيز مقتدر ، أما رأيتم الله تعالى كيف فضح  
ستورهم ، وأمطر بواكي الهوان عليهم ، ومن وراء  
ذلك وقوف بين يدي رب العالمين ، ومساءلة عما هو  
أخف من الذرة !

قال هارون : كفاك يا ابن ادريس فقد سللت علينا  
لسانك ، وهو أمضى من سيفك فكيف السبيل إلى  
الخلاص ؟ فقال أن تتفقد حرم الله وحرم رسوله صلى  
الله عليه وسلم بالعمارة ، وتؤمن السبيل وتنظر في أمر  
العامة والشعور ، وتبذل العدل والنصفة وأن لا تجعل

دونها سترأ ، وتهرب ممن يمنعك من ربك ، ويرى لك قطع ما أمر الله تعالى أن يوصل ، قال هارون ومن يطيق ذلك ؟ قال من تسمى باسمك ، وقعد مثل مقعدك ، قال هارون : فهل من حاجة فتقضى ، أم مسألة فتعطى ؟ قال أتأمرنى من بعد بذل مكنون النصيحة ، وتقديم الموعدة ، أن أسود وجهى بالمسألة ! فقال هارون يا محمد بن الحسن سله عن مسألة . فسأله عن رجل له أربع نسوة ، فأصاب الأولى عمّة الثانية . وأصاب الثالثة خالة الرابعة . فقال ينزل عن الأولى والثالثة ، فقال : ما الحجة فيه ؟ فقال الشافعى رضى الله عنه : أخبرنا مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجمع بين المرأة وعمتها ، ولا يجمع بين المرأة وخالتها » اكن ما تقول أنت يا محمد بن الحسن كيف دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفى أى درب دخل ، وفى



أى محلة نزل ، وأول ما تكلم عند دخوله ، بماذا تكلم  
وكيف كان ثيابه فى ذلك الوقت ، وعلى ناقة كان أو  
على فرس ؟ فتحير محمد بن الحسن ولم يحرجوا .  
فقال : يا أمير المؤمنين ، سألتى عن حرام فأجبت ،  
وسألته عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فتعتع ! فقال والله لو سألته كيف فعل أبو حنيفة  
لأجابنى ! فقربه هارون وأمر له بمال عظيم فلما نهض  
قسم المال فى دار العامة على الحجاب وانصرف  
مكرما . وهذا الذى حكيتة من فضله قطرة من بحار عليه  
وغرفة من أنهار فضله ، وفيه مقنع وبلاغ للوقوفين ،  
وأوردت فى هذا الكتاب الموجز من العجيب  
العجاب ، ولباب الألباب ما تحار فيه القلوب السليمة ،  
والأذهان المستقيمة ، مع مراعاة الانصاف  
والاتصاف ، ومجانبة الاعتساف  
والله أعلم بالصواب ، واليه المرجع والمآب

